

تفسير البحر المحيط

@ 400 أَلَا نَدْعُوكَ لَعَلَّ عَلَيَّ اللَّهَ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْدَعْبِرَنَّ
عَلَيَّ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَيَّ اللَّهَ فَلَايَتَّوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ
لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكَنَنَّكُمْ الْاَرْضَ رِضًا مِّنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ
مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ * وَاسْتَغْفَتْ جُودًا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن
وَرَأْيِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِّنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُ وَيَأْتُوهُمُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِمُعِيَّتٍ وََمِن
وَرَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ { (< 7 ! .

{ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَيَّ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا { : سلموا لهم في أنهم
يماثلونهم في البشرية وحدها ، وأما ما سوى ذلك من الأوصاف التي اختصوا بها . فلم يكونوا
مثلهم ، ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميزوا به تواضعاً منهم ، ونسبة ذلك إلى
ال { . ولم يصرحوا بمن { عليهم وحدهم ، ولكن أبرزوا ذلك في عموم من يشاء من عباده .
والمعنى : يمن بالنبوة على من يشاء تنبئته . ومعنى بإذن { : بتسويغه وإرادته ، أي
الآية التي اقترحتموها ليس لنا الإتيان بها ، ولا هي في استطاعتنا ، ولذلك كان التركيب :
وما كان لنا ، وإنما ذلك أمر متعلق بالمشيئة . فليتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل ،
وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً وأمروها به كأنهم قالوا : ومن حقنا أن نتوكل على { في
الصبر على معاندتكم ومعاداتكم ، وما يجري علينا منكم . ألا ترى إلى قولهم وما لنا أن لا
نتوكل على { ومعناه : وأي عذر لنا في أن لا نتوكل على { وقد هدانا ، فعل بنا ما يوجب
توكلنا عليه ، وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين .
والأمر الأول وهو قوله : فليتوكل المؤمنون لاستحداث التوكل ، والثاني للثبات على ما
استحدثوا من توكلهم . ولنصبرن جواب قسم ، ويدل على سبق ما يجب فيه الصبر وهو الأذى .
وما مصدرية ، وجوزوا أن يكون بمعنى الذي . والضمير محذوف أي : ما آذيتموناه وكان أصله
به ، فهل حذف به أو الباء فوصل الفعل إلى الضمي قولان ؟ وقرأ الحسن : بكسر لام الأمر في
ليتوكل وهو الأصل ، وأو لأحد الأمرين أقسموا على أنه لا بد من إخراجهم ، أو عودهم في ملتهم
كأنهم قالوا : ليكونن أحد هذين . وتقدير أو هنا بمعنى حتى ، أو بمعنى إلا أن قول من لم

ينعم النظر في ما بعدها ، لأنه لا يصح تركيب حتى ، ولا تركيب إلا أن مع قوله : لتعودن بخلاف
لألزمك ، أو تقضيني حقي والعود هنا بمعنى الصيرورة . أو يكون خطاباً للرسل ومن آمنوا
بهم . وغلب حكم من آمنوا بهم لأنهم كانوا قبل ذلك في ملتهم ، فيصح إبقاء لتعودن على
المفهوم منها أولاً إذ سبق كونهم كانوا في ملتهم ، وأما الرسل فلم يكونوا في ملتهم قط .
أو يكون المعنى في عودهم إلى ملتهم سكوتهم عنهم ، وكونهم إغفالاً عنهم لا يطالبونهم
بالإيمان بالله وما جاءت به الرسل . .

وقرأ أبو حية : ليهلكن الظالمين وليسكننكم ، بقاء الغيبة اعتباراً بقوله : فأوحى
إليهم ربهم ، إذ لفظه لفظ الغائب . وجاء ولنسكننكم بضمير الخطاب تشريفاً لهم بالخطاب ،
ولم يأت بضمير الغيبة كما في قوله : فأوحى إليهم ربهم . ولما أقسموا بهم على إخراج
الرسل والعودة في ملتهم ، أقسم تعالى على إهلاكهم . وأي إخراج أعظم من الإهلاك ، بحيث لا
يكون لهم عودة إليها أبداً ، وعلى إسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك
المقسمين على إخراج الرسل . قال ابن عطية : وخص الظالمين من الذين كفروا ، إذ جائز أن
يؤمن من الكفرة الذين قالوا المقالة ناس ، وإنما توعد لإهلاك من خلص للظلم . وقال غيره :
أراد بالظالمين المشركين ، قال تعالى : { إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } والإشارة
بذلك إلى توريث الأرض الأنبياء ومن آمن بهم بعد إهلاك الظالمين كقوله